بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

استقر في نفسي بعد دراستي للجانب الفقهي عند ابن رشد أن النهوض بالشريعة الإسلامية، وجعلها مواكبة لقضايا العصر لا يكون بالعكوف على الفروع الفقهية الجزئية فحسب، وإنما يكون بالتوجُّهِ إلى كليات الشريعة وأصُولِها، وقيمها الإنسانية الخالدة ورأيتُ أنَّ مقاصد الشريعة كفيلة بهذه الغاية.

ولما كنت أعلم أن أبا إسحاق الشاطبي هو الذي توجَّه إلى علم المقاصد، وأفنى فيه معظم حياته، فقد اخترت أن يكون موضوع هذا الكتاب «الشاطبي ومقاصد الشريعة»، وجعلتُه أقساماً ثلاثة اقتضتها طبيعة الموضوع، فخصصتُ القسم الأول لحياة الشاطبي وعصره، والقسم الثاني لما ابتكره من نظريات في علم المقاصد، والقسم الثالث لدراسة مذهبه الإصلاحي الذي يُعَدُّ امتداداً لنظرياته في المقاصد وتطبيقاً لها.

ثم عمدت إلى كل قسم فجعلتُه فصولاً مترابطة، يُفضي كلُّ فصلٍ منها إلى الذي يليه حرصاً على أن يكون للبحث وحدة موضوعية.

أما المصادر والمراجع فقد صنَّفتُها حسب أقسام البحث، فرجعتُ في القسم الأول منه إلى أصنافٍ ثلاثة من المراجع هي: كتبٌ في التاريخ الإسلامي العام، وكتبٌ في التاريخ الأندلسي وتاريخ مملكة غرناطة، خاصةً ما كتبه لسان الدين بن

الخـطيب وزيـر السلطان محمـد الخـامس أحـد ملوك بني الأحمـر، والمعـاصـر للشاطبي، وكتبٌ في التراجم، وهي كثيرة، أخص بالذكر منها نيل الابتهاج للتنبكتي الذي كان الأصل في كل ترجمة للشاطبي ظهرت بعـده. غير أن مـا أفادني حقـاً في هذا القسم التاريخي من البحث كتابان للشـاطبي هما: كتـاب الفتاوى الـذي عكس الكثيـر من قضايـا عصره، وكتـاب الإفادات والإنشـادات الذي كـان بمثابـة مـذكـرة شخصية كشفتُ منها الكثير من حياته الخاصة، وصلاته برجـال عصره، ومـا كان في غرناطة من مناخ أدبي وفكري.

أمـا القسم الثاني من الكتـاب فقد رجعت فيـه إلى مجموعـة من كتب أصـول الفقه والمقاصد والدراسات حولهما، ولكن كتاب الموافقات للشـاطبي كان عمـدتي الأسـاسية. والشـاطبي وإنْ كان خَصَّصَ الجـزء الثاني فقـط للمقاصـد إلا أني تتبعتُ الأجزاء الأربعة كلها، ووجدت فيها كثيراً من مسـائل المقـاصد التي لم يـذكرهـا في الجزء الذي خصصه لها.

وفي القسم الثالث الذي جعلتُـه لمذهبـه الإصلاحي، فـإني لم أجد من كتب فيه شيئاً عدا تلك الإشارة العابرة التي جاءت على لسان الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمته لكتاب الاعتصام، والتي رددهـا الشيخ محمـد الفاضـل بن عاشـور في كتابـه «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي» وعبد المتعال الصعيدي في كتابه «المجـددون في الإسلام» فعـوَّلت في دراسـة هـذا الجـانب على كتـاب الاعتصـام بجزأيه، لا أستثني من ذلـك إلا مذهبـه في الإصلاح التـربوي فـإني استخلصتُه من كتـاب الموافقـات. وقد سلكت في البحث منهـج التحليل للنصـوص، والمقـارنـة، وصوغ النتائج التي انتهي إليها في مبادىء عامة، مجتنباً قـدر الإمكان الاعتمـاد على النقـول، إلا ما تـدعو إليـه الحاجـة من الاستشهـاد بـالنص، ويجب أن أنبـه إلى أن المـراجع عن الشـاطبي قليلة بالـرغم من شهـرتـه الـواسعـة في عصـره وفي العصـر الحـديث بدايـة من القـرن المـاضي لمَّـا عـرف بعض زعمـاء الإصـلاح في العـالم الإسـلامي شيئاً من كتبـه، خـاصـة كتـابيـه في الإصـلاح والتجـديـد، وهمـا كتـاب الموافقات، وكتاب الاعتصام.

إن غـاية هـذا الكتاب، كمـا بينتُ في أول هذه المقـدمة، الكشف عن منـابع التجديد في تراثنا، وربطها بقضايانا المعاصرة لتكون لنا مُنْطَلَقاً لنهضة حقيقية قِوَامُهَا الأصـالة والتجـذّر في حضارتنـا العربيـة الإسلاميـة، وذلك مـا يخلصنـا من التبعيـة الفكرية، ويساهم في إعادة الريادة التي كنا طليعتها زمناً طويلاً، والله أسأل أن ينفعنا بالأعمال الصالحة، والنوايا الصادقة.

obeikandl.com